



لا إله إلا الله

الله
رسول
محمد



سُبْحَانَكَ يَا مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ



أبو حسين اليوسفية

تقبله الله

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحبُ الهمةِ العاليةِ، والنفسِ النَّفيسةِ الأبيّةِ، الذي لا
يعرف الكلالَ أو المللَ، يرفعُ الهممَ بصوتهِ، ويجلبُ
الحماسَ بعمله، مهيبُ الجانبِ، قويُّ الشّكيمةِ، الزاهدُ
العابدِ، التّقيُّ النّقيُّ، عبد الله الصالح أبو حسين ...

أسدُ الجنوبِ ..

الأمير المقدمُ ..

الجريءُ في ذاتِ الله ..

من شباب جزيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرف الاستقامة مبكراً،
وأدرك الدين صبياً، فبادر للعمل له، على قدر ما فهم وأفهم، أسرع بنشاطٍ
في العمل الإغاثيِّ، فسافر إلى إندونيسيا، ثم إلى فلسطين الأسيرة، وهناك
أدرك معنى الجهاد، فلقد رأى كيف يسوق العدوّ أبناء الشّام كقطيع الأغنام،
ورأى كيف أفسد اليهود الدّين والدنيا، ثم رأى مدى الهوان الذي وصله
المسلمون، وتميّع الحركات الجهاديّة، وشاهد جيوش العملاء وقطعان
العبيد، وعلى حد قوله: (فلسطين يكاد يكون للجاسوس هويّة
رسميّة).

فاشمأز ونقم وعزم، ورجع إلى وطنه يحمل الهمم والإصرار؛ الإصرار على أن يكون لبنة في بناءٍ قد بدأ يرتفع في العراق، فأسرع يجيبُ داعيَ الله وعمره لم يجاوز عقده الثاني بعامٍ واحد، فحطَّ رحاله بالفلوجة، وجلس فيها بعض الشيء ثم أدرك قلة حاجة الإخوة إليه فيها، فجهَّز متاعه وانطلق إلى مكان آخر لم يزل لقاعدة الجهاد فيه حينها عملٌ غضٌّ؛ فحطَّ رحاله باليوسفيّة التي صار يُنسبُ إليها، وهناك شكّل وأسس مجموعةً طيّبةً، وكان نطاقُ عمله الساخن بين اليوسفيّة والفلوجة لينزل إلى بغداد، وخاصة بالسيارات المفخّخة.

ثم شكّل سرّيّة أمنيّة متخصصةً بملاحقة الجواسيس والعملاء، فقد رأى الأثر السيئ للجواسيس في فلسطين، واجتهد غاية الاجتهاد في هذا الأمر فتتبع أثرهم وتعقب رؤوسهم واخترق أماكنهم، ولم يزل بهم حتى سقطوا في يده الواحد تلو الآخر، فامتلات قلوب المرتدّين من اسمه رعباً، حتى فتح الله عليه الفتح الكبير.

ثم وبعد تصفية شبكات الجواسيس، تفرّغ أبو حسين للقوات الأمريكيّة، فأبهر الجميع بحُسن بلائه، وقوّة ورباطة جأشه، ومثال ذلك ما حصل حين كان يسير مع رفاقه يوماً في إحدى القرى، إذ فوجئ الجميع بدوريّة أمريكية على مسافة أقلّ من خمسين متراً، فأسرع من معه بالانسحاب والاختباء، بينما هبّ هو إلى قاذفة مضادّة للدروع ووقف وسط الطريق في ذهولٍ من صاحب "البكتا" على ظهر "الهمر"، فوجّه أبو حسين قذيفته إلى سويداء "الهمر" ثم انسحب مسرعاً، وقد يكون مناسباً ذكر طريقته

العجيبة في الانسحاب من أرض المعركة؛ فقد كان الرجل يرجع القهقري ولا يُعطي ظهره للعدوِّ بل وجهه، حتى ولو سقط يُقوم ويرجع القهقري بإصرارٍ عجيب، ويقول: (لا أريد أن يراني ربِّي أقتل مدبراً)، وكان دائماً يقول: (إن قُتلت فمن الأمام أو غدرًا، لا أقتل إن شاء الله من خلفي)، وهذا ما كان، وسنأتي عليه.

لما اشتعلت معارك الفلوجة الثانية، كان هو خارجها يشتعل معها حماسةً ويتحرَّق شوقاً، لا ينام الليل ولا يهدأ بالنهار، وهمّه أن ينصر إخوته ويحيل الأرض تحت أقدام العدو جحيماً، فكانت له في هذا القصصُ الكثيرة... يتربص للعدوِّ ليلاً على الخطِّ السريع، وينصب العبوات ويجهّز المفخّخات، ويرسل قنابر الهاون، ويحثّ على إطلاق الصواريخ.

سمع يوماً أن أحد المجاهدين من مجموعة أخرى عنده صواريخ مخبّأة كثيرة، فأسرع إليه يُذكّره بالله وأنّ الزمان زمان تضحية ونصرة وعمل دؤوب، فالإخوة في الفلوجة بأمرّ الحاجة إلى عمل يخفّف عنهم الحصار، وما زال به حتى ردّ عليه الآخر: إنه لا يستطيع أن يعطيه شيئاً حتى يستأذن.

فردّ عليه أبو حسين والهمّ والحزن يملأ قلبه: (إن كنتَ كاذباً فليعاملك الله بما تستحقّ)، وما هي إلا أيام حتى جاء الأمريكان وفجّروا لهذا الشخص مائتي صاروخ كان يحتفظ بها، فعلم الرجل أن ذلك ما كان إلا بجريرة ذنبه، فاستغفر الله وتاب إليه، ونحسب أنه قد حسنت توبته وندم على فعله.

ولما انقضت الفلوجة الثانية، كانت منطقة أبي حسين من أنشط المناطق في مقارعة الجيش الأمريكي، حيث عمل طيلة بقائه على جعلها قاعدةً للجهاد ينطلق منها الليوث في كل مكان.

فجمع السلاح وهياً نفوس أهل المنطقة وحرّضهم على الجهاد، فأحبّهم وأحبّوه، وكان صاحب حجّة ومنطق، فإذا أراد أن يقنع أحداً لم يُعجزه ذلك، لما كان يحمل من صدقٍ في دعوته، فإذا اقتنع بشيءٍ جمع له الأدلّة والبراهين، وخاطب غريمه بكل حواسّه ومشاعره وعقله حتى يقنعه، ونادراً ما كان يفشل في ذلك، فيخاطب أحدهم بالغيرة والنّشامة، والآخر بالحميّة للدين ثم الوطن، وغيرهما بالعقيدة وفرضيّة الجهاد، أو بجميع ذلك على حسب حال الشخص، ثم هو لا يدعك تردّ عليه مقالته لما تجد من انفعالٍ وحماسٍ يمتلكه عند البيان، مما يجعلك على الأقل تستحي منه.

وكان القائدُ الشّهيد متميّزاً في كلّ شيء؛ في نُكران الذات، وفي التّضحية والشّجاعة، وفي الزّهّد والورع وفي صدق الوفاء.

ومن المواقف التي أذكرها مثلاً؛ لما كانت عملية السّدير الأولى (أعني فندق السّدير، موطن الموساد الإسرائيلي في بغداد)، كنّا قد أعددنا عبواتٍ من نوعٍ كان متطوّراً في وقتها حتى تكون موجهةً نحو الفندق؛ ومن هذه العبوات، عبوةٌ كبيرةٌ لا تسمح إلا بدخول شخص واحد بالكاد إلى باطنها.

وبدأنا نملأ العبوة ليلاً بمادة "البنتراريت" الشديدة الانفجار والتي تتصف بالسميّة لدرجةٍ معيّنة، فبادر صاحبنا بالنّزول داخل العبوة، وبدأ يأخذ

المادّة من إخوانه ليكدّسها ويدكّها بيده، والعطاس وسيلان الأنف يعمل عمله، وعندما يطلب منه الإخوة الخروج لينزل آخر بدله، يرفض ويقول: (الوقت قصير وهذه أيّام نقضيها في طاعة الله، ثم إن سميّة المادة لا تؤذي إلا أن يشاء الله، ومن يقول أن الله لم ينزع منها صفة السميّة حتى تنتهي، أليست جندياً من جند الله؟).

كان الرّجل إذا اقتنع بفكرة لا بدّ أن يقنع غيره بها، وقد اقتنع أنّنا نستطيع أن نهجم سجن أبي غريب، فظلاًّ يلحّ على إخوانه حتى تمّ له ما أراد من الموافقة على ذلك، ولما قيل له: والمواد والسيارات والأشخاص وغير ذلك؟، كان يردّ بكلمة جميلة دائماً يردّها إذا طُلب منه شيء: ("اذهلها" - أي اتركها - على الله ثم علي)، وكنا نحبّ منه جدا هذه الكلمة، ذلك أنها تُشعرك بأن صاحبها لا يعرف اليأس قطّ، ولا يعوقه صعبٌ أو مستحيلٌ أيّاً كان ما كُلف به.

أذكر مرة أنّه كُلف بسيارة يجهزها، فقال كعادته: ("اذهلها")، وفي الوقت المحدد سلّمها وهو يضحك، فقلنا ولم الضحك؟ قال: (والله عندما طُلبت مني لم يكن عندي من الموادّ شيء، فألححتُ بالدعاء لله، وإذا بالأخ فلان يأتي بما يكفي لتجهيز ثلاث سيارات، فحمدت الله على التسديد وعدم الخذلان).

أعود فأقول: بدأ أبو حسين يجهّز لغزوة أبي غريب، ويواصل في هذا الليل والنهار لا يكلّ ولا يملّ، ولا يعرف صعباً أو مستحيلاً وبذل في هذا مجهوداً كبيراً، فجهّز السيّارات ما بين شراءٍ وغنم، وسعى في تحصيل المواد اللازمة

للتفخيخ، واحتال لذلك حيلًا كثيرة فتح الله بها عليه، وكان ذلك لأنه كُلف بتجهيزها شخصيًا للحفاظ على سرّية العمل، فتحمل في سبيل ذلك الجهد الأكبر، كي تبقى العملية طيّ الكتمان ما أمكن ذلك.

ثم لما جدَّ الجدُّ وجاء وقت التنفيذ، قادَ مفرزة الاستشهاديين وانطلق بهم إلى موقع السّجن في حزام أبي غريب، ولما اقترب من السجن وبدا شاخصاً أمامه، إذا به يُفاجأ برتلٍ أمريكيّ كبيرٍ يخترقُ حاجز الحماية، فخاف أن يلتف هؤلاء على مجاميع المجاهدين التي تحيط بالسجن من كل جانب إحاطة السّوار بالمعصم، وهنا تظهر صفة القيادة في هذا الأمير الشاب، حيث يتخذ القرار الصّعب الحازم في وقته بلا تردّد، فأمر أربع سياراتٍ استشهاديّة بالدخول في الرتل الواحدة تلو الأخرى، فأبادوه عن بكرة أبيه، وقتل الله بهم أكثر من خمسين علجاً أمريكياً، ودُمّرت أكثر من عشر أليات.

وبعد غزوة أبي غريب تزوج الحبيب الشهيد، وكانت مجموعته وقتها قد كُلفت بغزوة أخرى تحتاج إلى عملٍ شاقٍّ واجتهاد، فذهبنا لموقع التّجهيز بعد الظهر تقريبا، فإذا بنا نفاجأ بأبي حسين مع الإخوة ومادة الـ TNT تملأ يديه ووجهه؛ فقال له بعض الإخوة: يا ولد أليس اليوم يوم الصباحية عندك؟! قال: (نعم؛ والعمل مع الإخوة هنا أجمل صباحية)، فاجتهدنا أن يعود إلى أهله، فأبى ولم يرجع إلا بعدما أذن للمغرب وانسحب جميع إخوانه.

هكذا كان صاحبنا الشّهيد، حتى شهوة الإنسان الجبليّة لم تسيطر عليه

وهو معذورٌ ومأذونٌ له من أمرائه أن يقضي ولو أياماً مع عروسه، ولكنّ الذي عرف الجهاد وذاق لذّته على حقيقته، يعرف تماماً لماذا تصرف شهيدنا هكذا، خاصّة إذا كان يحمل همّ وهمّة أبي حسين وإخلاصه.

كان أبو حسين مهيب الجانب جداً رغم حداثة سنّه، فكان في إمرته من تجاوز الأربعين، لا يستطيع أن يتجاوزه أحدٌ صغيراً كان أم كبيراً، بل كان الاحترامُ والمهابة تملأ قلوب إخوانه، فقلّما أمر بشيءٍ وخالفه فيه أحد، وفي نفس الوقت ملأ الرعب من اسمه قلوب مخالفيه المرتدّين في المنطقة.

كان يأخذ إخوانه في كمائنَ للطائرات من الصّباح إلى المساء؛ يجلس معهم في قنوات البزل المائي الزراعية وأماكن البقّ والحشرات، يتربّصون عدوّ الله فربما رزقوا بهدف وربما انسحبوا دون أن يأتي أحد، فما كان لأخٍ أن يعترض أو يأخذ عليه لأنّه يتقدّمهم في كلّ شيء.

ولما اقتنع بالعبوات النّاسفة وأثرها في البالغ في كسر إرادة العدو، ملأ طرقهم بها، وجهّز لها المجموعات، حتى فتح الله عليه وقطع الطريق تماماً على أعداء الله، وطهرّ كامل المنطقة تقريباً من ننتهم.

كان الشهيد رحمه الله أميراً في كل الغزوات التي شارك فيها، فإن لم يكن أميراً عاماً للغزوة كان أميراً على أهمّ مفازرها، وكان وجوده بجوار إخوانه مصدر همّة وشجاعة، وكان صوته في المعركة بألف فارس.

وفي نفس الوقت كان إماماً في الزهد والورع؛ يلزم نفسه بكثرة الصّيام والتقشّف في الطّعام والاقتصاد في الملبس، وإذا ذهبت إلى موضع

مجموعته ترى أثر ذلك عليه وعلى إخوانه، وربما يأخذك واحد منهم قائلاً: يا ليت تجعل أبا حسين يخفف علينا بعض الشيء، فإذا كلمته أقنعك بصدق منهجه وأن ذلك هو الأصلح له ولهم، وحين يُسألُ الشباب يسكت الجميع، أو يجيبوك بالتأييد ما بين مقتنع أو استحياءً من أميره الزاهد.

ومن مآثر الشهيد الحبيب والتي ليس لها إلا أمثاله من الجبال الأفذاذ، أنه ما من منطقة استعصت علينا، أو أردنا أن نفتح فيها مكاناً جديداً للجهاد والشباب، إلا كان لها الأمير أبو حسين، فكان يذهب إليها ويبدأ من الصفر، وما هي إلا أيام أو أسابيع قليلة، حتى ترى أثر ذلك في المنطقة، فيجهّزها ويرتبها ويُعيّن عليها أخاً آخر ويغادرها إلى منطقة أخرى.

فشهيدنا ليس من هذا النّفر الذي يعيش طفيلياً ويعمل متواكلاً، إنما يتسلّق ليعلو ويصمد في وجه الرّيح، متشبثاً بسلاح الإيمان وعقيدة التوحيد.

وفي آخر أيام أبي حسين كانت أيادي الغدر من كبار العملاء والجواسيس تتربّص به ليل نهار، بعد أن أثخن فيها وحرّمها أمن النوم في أحضان الصّليبيين، فجلس هؤلاء لصاحبنا كلّ مرصد، وفي يومٍ قدّره الله عليه، وبينما أوشك على الانتهاء من عمل مهم كان قد كُلف به، توقفت سيارته في منطقة مشهورة بكثرة عمّالها وخُبث أهلها، فلا تكادُ تعرف فيهم الصّديق من العدو، ولا المجاهد من المنافق، المهم؛ عند توقفه وضعوا في سيارته أحد أقراص التتبع التي تزود الطائرات الأمريكية بالإحداثيات.

ولمّا استقرّ الشهيد الحبيب بالسيارة عند إخوانه، فوجئ الجميع بأسطولٍ من الطائرات يهبط عليهم مباشرة من كلّ الجهات، وبدأ اشتباكٌ عنيف بين الطرفين، وحصل للعدوّ من الإثخان ما قدرّ الله، ثم كانت النهاية السعيدة للرجل، الأليمة لكلّ من يعرفه ويحبّه.

حيثُ تقدم أبو حسين بحزامه الناسف وسط العدو قاتلاً ما شاء الله منهم ومقبلاً على ربه، فملاً بفقدته قلوبنا قيحاً وأعيننا دماً، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر